الصباح الإسلامية
09
العدد 1647 - السنة السادسة
الثلاثاء 19 شوال 1434 - الموافق 27 اغسطس 2013
Tuesday 27 August 2013 - No.1647 - 6th Year

أسمى العواطف الإنسانية وأرقى غرائز الفطرة البشرية

الحب.. يصور الإعلام «الحرام» منه كنموذج للتضحية فيمسخ قيم وأخلاق الشباب

الحب الحلال ينشأ في ظل الله ويترعرع تحت أعين الناس أما الحرام فينبت في تربة سوء يرعاها الشيطان

الإسلام لا يطارد المحبين أو يجفف منابع الود ولكن يهذب المباح حتى لا يفلت الزمام ويقع المرء في الحرام

الحب أسمى وأجمل الأشياء في الدنيا، وديننا دين السماحة والحب، ولكن المقصود هو الحب الطاهر الذي لا يشوبه شبهة ولا يخلف وراءه ذنبا وأعظم الحب حب الله ويظهر في التقوى، وبالا تحب أحدا أكثر من حبك لله سبحانه وتعالى: «ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب».

فلا يشرك الانسان في حبه لله أحدا، أما حب العبد للعبد فلا إثم فيه ولا هو حرام وإنما إذا أحب الشاب فتاة فليحبها في الله كذلك إذا هي فعلت ولكن كيف يكون الحب في الله؟ يكون الحب في الله بأن يبتغي مرضاة الله من هذا الحب وأن يتقي الله في هذا الحب، فإن الله سبحانه وتعالى رسم للإنسان منهجا يسير عليه، فقال تعالى: «وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون»، أي أن صراط الله هو طريقه الذي جعله منهجا للسلوك المستقيم الذي لا عوج فيه وعلى الشباب والفتيات أن يتبعوا هذا الطريق السوي، فإذا اتبعوه وساروا عليه سعدوا برضوان الله في الدنيا وفي الآخرة وإذا انحرفوا عن صراط الله، واتخذوا طرقا أخرى مبتدعة، تفرقوا عن سبيل الله وحادوا عنه، وضلوا بإعراضهم عن هداية الله. أما عن العلاقة بين الشاب والفتاة فلا يجب أن تتعدى حسن المعاملة التي أمر بها الله سبحانه وتعالى وعن نبي الله موسى عليه السلام انه قابل إمرأة تستقي فاستسقى لها، أما إذا زادت العلاقة بين الشاب والفتاة عن حدود الله في المعاملة بينهما، كان ذلك خرقا لتعاليم الإسلام وأوامر الله عز وجل.

ودعا الله كلا من الرجل والمرأة إلى الاتصاف بالخصال الطيبة والآداب الفاضلة ليكون الرجل والمرأة عضوين نافعين في المجتمع، وراعى الإسلام الفوارق الطبيعية بين الرجل والمرأة، ووظائف الذكر والأنثى، فخص النساء ببعض الآداب لحفظ شرفهن وصيانة كرامتهن ومنعا لهن من تعدي سفهاء الرجال.

نظرة الإسلام للعلاقة بين الرجل والمرأة

لا يطارد الإسلام المحبين ولا يطارد بواعث الحب والغرام، ولا يجفف منابع الود والاشتياق، ولكن يهذب الشيء المباح حتى لا يفلت الزمام، ويقع المرء في الحرام والهلاك، وليس هناك مكان للحب في الإسلام إلا في واحة الزوجية.

والحب في الإسلام يختلف عن أي حب، فهو حب يتسم بالإيجابية ويتحلى بالالتزام. ليس شرطا أن تحب المظهر الجميل، ولكن من المحتم أن تحب الروح الأخاذة، والذات الرائعة الخلابة. هناك من الأزواج من لديه زوجة مليحة، جميلة وضيئة، ولكنها خاوية المشاعر، جامدة العواطف، غليظة الكلام، عصبية بغيضة لا تفهم شيئا من لغة القلوب، ولا تفقه أمراً من عالم الوجدان.

إن كثيرًا من الملتزمين يرون في الحب منقصة ومذمة، ويرون فيه ضعة ومذلة، وهذا خطأ جسيم، وفهم خاطئ فتراه لا يتودد إلى زوجته، ولا يعرف للغزل سبيلا، ولا للمداعبة طريقًا.ولو نظر إلى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ورأى حبه الشديد لعائشة، وكيف كان يداعبها ويلاطفها لعلم كيف يكون الحب بين الأزواج من شيم الكمال وليس من صفات النقص.

والحب من أسمى العواطف الإنسانية، وأرقى الغرائز التي جبلت عليها الفطرة البشرية، وهو إحساس وشعور نفسي ووجداني، ينجذب به القلب تجاه المحبوب بحماسة وعاطفة جياشة.

درجات الحب: والحب درجات، أسماها حب الله ورسوله، ثم حب الأهل وخاصة الوالدين والأقارب والأصدقاء، ثم الحب بين الرجل والمرأة. والحب بين الرجل والمرأة منه الحلال، وهو الذي يربط بين الزوج وزوجته، ومنه الحرام كالانحرافات والشذوذ والعلاقات غير الشرعية بين الرجل والمرأة.

والحب الحلال ينشأ في ظل الله ورضاه، ويترعرع تحت أعين الناس وبمباركتهم، أما الحب الحرام فينبت في تربة سوء يرعاها الشيطان، ويرويها بالغواية والضلال، ويزينها بالهوى. والحب الحلال يباركه الله، ويغبطه الناس، أما الحب الحرام فلا يرضى عنه الله ويرفضه المجتمع.

والمرأة بحكم تكوينها النفسي، أكثر عاطفة، وأرهف إحساساً من الرجل، فحبها أعمق وشعورها أقوى، ولكن الحب -في كثير من حالاته- أصبح مشكلة خطيرة تضر بالمجتمع وأفراده، فقد طغت الصور المجرمة منه على الصور الحلال، وانتشر الفساد، وتفككت الأسر، وخرّبت البيوت، وانتهكت الحرمات، كل هذا تحت شعار الحب.

أسباب المشكلة

مشكلة الحب الحرام لها أسباب عديدة منها: انتشار كثير من المفاهيم والأفكار الخاطئة لدى الشباب عن ضرورة ممارسة الحب، وتجربته، ومعايشته، مما ينتج عنه من سوء الخلق المتفشي في أيامنا هذه، والاختلاط الفاسد دون رقابة أو حدود في البيت بين الأقارب وغير الأقارب، وفي الشارع، وفي وسائل المواصلات، وفي المدارس والجامعات، وفي الأندية والمتنزهات، فكان سبيلا للفساد ونشر الفتن والشرور، فبه تسهل الرذيلة ويعمل الشيطان عمله.

قال الشاعر: نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

فالنظرة سهم من سهام إبليس، فمن أطلق لها العنان لم يجن إلا الهلاك.

ويقول الشاعر:

كل الحوادث مبداها من النظر

ومعظم النار من مستصغر الشرر

ووسائل الإعلام بصورها العديدة، وما تبثه من أفكار، وما تعرضه من أفلام ومسلسلات، تصور الحب الحرام في صور تجعل منه عنوان التضحية والوفاء، فتمسخ بذلك قيم وأخلاق الشباب، وتدفعهم إلى التجربة دفعا حتى يكون لهم نصيب من هذه التضحية والفناء في سبيل الحب!!

نتائج المشكلة

فكان نتيجة هذه الأسباب أن انتشرت الفتن وغلبت الشهوات، فكم من زوجة خانت زوجها، وكم من زوج خان زوجته، وكم من فتاة فقدت عنوان شرفها، وكم من فتى عاث فسادا، وكم من مقدسات انتهكت، وحرمات أبيحت، كل هذا تحت دعوى الحب!!

دور المرأة:

وهنا يأتي دور المرأة أو الفتاة، والتي إذا فرطت في كرامتها وانساقت مع تيار هواها، كانت سبيلا للفتنة والفساد، فهي الزوجة التي بحبها لزوجها وكونها السكن والأمان له تصون بيتها وتحفظ مجتمعها، وهي الأم التي بتربيتها لأبنائها وفق المبادئ والقيم السامية تمد المجتمع بالسواعد القادرة على بنائه والنهوض به، فعلى المسلمة الالتزام بالضوابط التي وضعها الإسلام لما فيه صلاح الأفراد وخير المجتمع.

الصديق في ميادين الجهاد

ذكر أهل العلم بالتواريخ والسير أن أبا بكر شهد مع النبي بدراً والمشاهد كلها، ولم يفته منها مشهدا، وثبت مع رسول الله يوم أحد حين انهزم الناس، ودفع إليه النبي رايته العظمى يوم تبوك وكانت سوداء.

وقال ابن كثير: ولم يختلف أهل السير في أن أبا بكر الصديق لم يتخلف عن رسول الله في مشهد من المشاهد كلها.

وقال الزمخشري: إنه (يعني أبا بكر) كان مضافًا لرسول الله إلى الأبد، فإنه صحبه صغيرًا وأنفق ماله كبيرًا، وحمله إلى المدينة براحلته وزاده، ولم يزل ينفق عليه ماله في حياته، وزوّجه ابنته، ولم يزل ملازمًا له سفرًا وحضرًا، فلما توفي دفنه في حجرة عائشة أحب النساء إليه.

وعن سلمة بن الأكوع: غزوت مع النبي سبع غزوات، وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات مرة علينا أبو بكر ومرة علينا أسامة.

ومن خلال هذا المبحث سنحاول أن نتتبع حياة الصديق الجهادية مع النبي، لنرى كيف جاهد الصديق بنفسه وماله ورأيه في نصرة دين الله تعالى.

أولاً: أبو بكر في بدر الكبرى

شارك الصديق في غزوة بدر، وكانت في العام الثاني من الهجرة وكانت له فيها مواقف مشهورة، من أهمها:

1 – مشورة الحرب: لما بلغ النبي من نجاة القافلة وإصرار زعماء مكة على قتال النبي استشار رسول الله أصحابه في الأمر، فقام أبو بكر فقال وأحسن، ثم قام عمر فقال وأحسن.

2 – دوره في الاستطلاع مع النبي:

قام النبي ومعه أبو بكر يستكشف أحوال جيش المشركين، وبينما هما يتجولان في تلك المنطقة لقيا شيخًا من العرب، فساله رسول الله عن جيش قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه من أخبارهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما، فقال له رسول الله: «إذا أخبرتنا أخبرناك» فقال: أو ذاك بذاك؟ قال: «نعم». فقال الشيخ: فإنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا – للمكان الذي به جيش المسلمين– وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا –للمكان الذي فيه جيش المشركين فعلا– ثم قال الشيخ: لقد أخبرتكما عما أردتما، فأخبراني ممن أنتما؟ فقال رسول الله: «نحن من ماء»، ثم انصرف النبي وأبو بكر عن الشيخ، وبقي هذا الشيخ يقول: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟

وفي هذا الموقف يتضح قرب الصديق من النبي ، وقد تعلم أبو بكر من رسول الله دروسا كثيرة.

اتق النار ولو بكلمة طيبة

عن عدي بن حاتم قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجلان: أحدهما يشكو العيلة، والآخر يشكو قطع السبيل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما قطع السبيل فإنه لا يأتي عليك إلا قليل، حتى تخرج العير إلى مكة بغير خفير، وأما العيلة فإن الساعة لا تقوم حتى يطوف أحدكم بصدقته، لا يجد من يقبلها منه، ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولن له، ألم أوتك مالا؟ فليقولن: بلى ثم ليقولن: ألم أرسل إليك رسولا؟ فليقولن: بلى، فينظر عن يمينه، فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله، فلا يرى إلا النار، فليتقين أحدكم النار، ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة».

خلق المسلم للغزالي: النفس المؤمنة برنامج محرك لكل إصلاح

إذا لم تصلح النفوس أظلمت الآفاق وسادت الفتن حاضر الناس ومستقبلهم

وظيفة الفطرة أن تستقيم مع الحق ما لم يطرأ تشويه يلوي عنانها ويثنيها عن وجهتها

الإسلام كسائر رسالات السماء يعتمد في إصلاحه العام على تهذيب النفس الإنسانية قبل كل شيء. فهو يكرس جهودا ضخمة للتغلغل في أعماقها وغرس تعاليمه في جوهرها حتى تستحيل جزءا منها. وما خلدت رسالات النبيين وكونت حولها جماهير المؤمنين إلا لأن «النفس الإنسانية» كانت موضوع عملها ومحور نشاطها، فلم تكن تعاليمهم قشورا ملصقة فتسقط في مضطرب الحياة المتحركة، ولا ألوانا مفتعلة، تبهت على مر الأيام. لا.. لقد خلطوا مبادئهم بطوايا النفس، فأصبحت هذه المبادئ قوة تهيمن على وساوس الطبيعة البشرية، وتتحكم في اتجاهاتها. وربما تحدثت رسالات السماء عن المجتمع وأوضاعه، والحكم وأنواعه، وقدمت أدوية لما يعرو هذه النواحي من علل. ومع ذلك فالأديان لن تخرج عن طبيعتها في اعتبار النفس الصالحة هي البرنامج المفصل لكل إصلاح، والخلق القوي هو الضمان الخالد لكل حضارة. وليس في هذا تهوين ولا غض من عمل الساعين لبناء المجتمع والدولة، بل هو تنويه بقيمة الإصلاح النفسي في صيانة الحياة وإسعاد الأحياء. فالنفس المختلة، تثير الفوضى في أحكم النظم، وتستطيع النفاذ منه إلى أغراضها الدنيئة، والنفس الكريمة، ترقع الفتوق في الأحوال المختلة ويشرق نبلها من داخلها، فتحسن التصرف والمسير، وسط الأنواء والأعاصير. إن القاضي النزيه، يكمل بعدله نقص القانون الذي يحكم به، أما القاضي الجائر فهو يستطيع الميل بالنصوص المستقيمة، وكذلك نفس الإنسان حين تواجه ما في الدنيا من تيارات وأفكار، ورغبات ومصالح ومن هنا كان الإصلاح النفسي، الدعامة الأولى لتغليب الخير في هذه الحياة.

فإذا لم تصلح النفوس أظلمت الآفاق، وسادت الفتن حاضر الناس ومستقبلهم، ولذلك يقول الله تعالى: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال». ويقول معللا هلاك الأمم الفاسدة: «كداب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم». والإسلام في علاجه للنفس ابتغاء إصلاحها ينظر إليها من ناحيتين: أن فيها فطرة طيبة، تهفو إلى الخير، وتسر بإدراكه، وتاسى للشر، وتحزن من ارتكابه، وترى في الحق امتداد وجودها وصحة حياتها. وأن فيها إلى جوار ذلك نزعات طائشة، تشرد بها عن سواء السبيل، وتزين لها فعل ما يعود عليها بالضرر، ويسف بها إلى منحدر سحيق. ولا يهمنا أن نستقصي أصول هذه النزعات السيئة من الناحية التاريخية، لنعرف أهي طارئة على فطرة الإنسان، أم مخلوقة معها، وإنما يهمنا أن هذه وتلك موجودتان في الإنسان، تتنازعان قيادة، ومصيره معلق بالناحية التي يستسلم لها. قال الله تعالى: «ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها». وعمل الإسلام هو إسداء المعونة الكاملة للإنسان، كي يدعم فطرته ويجلي أشعتها، ويسير على هديها. وكي يتخلص كذلك من وساوس الإثم التي تراوده، وتحاول السقوط به. وقد وصف الإسلام نفسه بانه دين الفطرة الخالصة من هذه الشوائب جمعاء، قال الله في كتابه العزيز: «فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون».

إن وظيفة العين أن تبصر، ما لم يلحقها عمى، ووظيفة الأذن أن تسمع، ما لم يصبها صمم، ووظيفة الفطرة أن تستقيم مع الحق، وتندفع إليه تدفع الماء من صبب، ذلك ما لم يطرأ عليها تشويه يلوي عنانها ويثنيها عن وجهتها الأولى إلى الكمال والخير والفضيلة وهذه الطوارئ المفسدة للفطرة، قد تتكون من رواسب القرون الماضية، أو من تقاليد البيئات الساقطة، أو من كليهما معا، وهي شديدة الخطر فيما تجره على الفطرة البشرية من علل، وجهاد المصلحين الحقيقي يقوم على كفاحها وكسر حدتها، وانقاذ الفطرة من غوائلها، حتى تعود إلى صفائها الأصيل وتؤدي وظيفتها الحقة، وقد شرح الإسلام طريق ذلك. فبعد أن نقرأ في كتاب الله الآية السابقة، في أن الدين هو الفطرة، نقرأ قوله تعالى: «منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون». الإيمان لا الإلحاد، والتقوى لا الفجور، ووحدة المتدينين على ربهم لا تفرقهم فيه.. هذه النصائح هي باب العود بالإنسان إلى فطرته المستقيمة.

كرر القرآن الكريم هذا المعنى في قوله: «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات». ذلك التقويم الحسن، هو معرفة الحق والاستمساك به، والسير على مقتضاه، هو الولوع بالفضل والنبل، ورعايتهما في منطق المرء مع نفسه ومع الناس، وهو نشدان الكمال في نسقه العالي، وتغليبه على كل شيء في الحياة. بيد أن كثيرا من الناس، تثقل بهم أهواؤهم دون هذا المستوى العالي، فيخلدون إلى الأرض، ثم تجمع بهم أهواؤهم المتبعة، فينحدرون إلى مكان سحيق، وذلك هو أسفل سافلين، الذي يردهم الله إليه. هذا الرد الإلهي، خاضع لقوانين الهداية والاضلال، وهي قوانين عادلة دقيقة، ذكرها القرآن الكريم في قوله: «وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم». وقوله: «سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين». ومن الذي يبقى على تقويمه الحسن، وينجو من الارتكاس في الدنيا الساقطة؟

الجواب في الآية: «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون».